السنن الاجتماعية في القرآن الكريم (التقلب في البلاد نموذجاً)

-دراسة موضوعية-

دكتورة/ رقية بنت محمد العتيق

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

المستخلص:

عني القرآن الكريم بعرض السنن الاجتماعية، فكان هدف هذا البحث دراسة تلك السنن من خلال بيان مفهومها وخصائصها وحجيتها وأهمية دراستها وعرض نموذج لها وهو التقلب في البلاد. وكان من أهم نتائج هذا البحث : أن السنن الاجتماعية تتعلق بسلوك البشر وأفعالهم ومعتقداتهم وسيرتهم في الدنيا، وفق أحوال الاجتماع والعمران البشري. وهي حجة معتبرة قطعية الدلالة على مرادها تميزت بخصائص وسمات وهي : الربانية، والعموم والشمول، والثبات والاستمرار، ومن تلك السنن التقلب في البلاد الذي فسره القرآن الكريم تفسيراً أبان فيه حِكمه، لتقوم به الحجة، وتسكن إليه العقول، وتأوي إليه الأنفس. كما كان من أهم توصياته: ضرورة اختيار موضوعات بحثية قرآنية تفتقر إليها المكتبة الإسلامية، وبخاصة المتعلقة بالسنن الاجتماعية وضرورة إقامة المؤتمرات والندوات المعنية بذلك ليتم من خلالها تقديم الدراسات والبحوث المؤصلة الواسعة الشاملة لتلك السنن لتعزيز ثقة الأمة بدينها، وإثارة فاعليتها للنهوض والقيام بدورها في قيادة الحضارة كما قادها أسلافها.

الكلمات المفتتحة: السنن الاجتماعية، التقلب في البلاد.

Summary

The Holy Quran is concerned with the presentation of social norms. The purpose of this research is to study these norms through the definition of its concept, characteristics, authority, and the importance of its study and presentation of a model on it which is the uncertainty in this country. The most important results of this research: The social norms related to the behavior of people, their actions, beliefs and their life in the world, according to the conditions of sociality and human development. This is an argument that is categorical and indicative of its meaning, characterized by: divinity, generality, inclusiveness, stability and continuity. Among these norms is the uncertainty in the country, which was interpreted by the Holy Quran as an explanation of its purpose to be an argument that comforts the souls. The most important recommendations were: The need to select Quranic research topics lacking in the Islamic library, especially related to the social norms and the need to hold conferences and seminars concerned so as to provide comprehensive studies and extensive research of those norms to enhance the nation's confidence in its religion and play its role in leading civilization as led by its predecessors.

Keywords:

Social norms, uncertainty in the country.

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد

فلقد دعانا القران الكريم إلى كشف القوانين الثابتة والمطردة للسنن الاجتماعية، واستقراء التاريخ والواقع والآفاق الذى يقودنا الى التبصر والنظر والتفكر في حركة النهوض والسقوط والصعود والهبوط والتطور والجمود للأمم والحضارات، كما دعانا إلى ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج، لفهم السنن التي فطر الله تعالى عليها أمور الخلق، ومن ثم تسخير هذه السنن والاستفادة من معطياتها في تصريف شؤون الحياة، وعمارة الأرض على الوجه الذي أمر الله عز وجل به.

وإذا كان كذلك؛ فإن المطلوب اليوم، أكثر من أي وقت مضى وفي مجال الدراسات القرآنية المعاصرة بالذات، أن نتوجه لدراسة تلك السنن والبحث فيها، لنكتشف الفقه الحضاري، والقوانين الاجتماعية، التي تحكم مسيرة الأحياء، وللنهوض بالأمة ومعاودة إخراجها من سباتها واستردادها مكان الصدارة في الحياة.

وما هذا البحث المعنون بـــ(السنن الاجتماعية في القرآن الكريم التقلب في البلاد نموذجاً -دراسة موضوعية-)إلا محاولة لإبراز سنة من تلك السنن الاجتماعية .

مشكلة البحث:

أقام الله تعالى نظام المجتمع، على سنن اجتماعية مطردة، تفسر إلى حد كبير حركة الحضارة والاجتماع والعمران البشري، بما يُظهر أهمية دراسة تلك السنن خاصة ما يتعلق منها بسنة التقلب في البلاد، ذلك أن غياب مفهوم وحِكم وأحكام هذه السنة في هذا الوقت الذي تمر فيه الأمة بأزمتها الحضارية جعل كثيرا من المسلمين يمضون على غير هدى في تفسيرها ودلالتها. فكان هذا البحث مساهمة في استجلاء ما يتعلق بالسنن الاجتماعية من حيث مفهومها وخصائصها، وحجيتها، وأهمية دراستها بشكل عام. وما يتعلق بسنة التقلب في البلاد بشكل خاص .

هدف البحث:

١) التعريف بالسنن الاجتماعية وخصائصها.
٢) الكشف عن أهمية دراسة السنن الاجتماعية ومكانتها في القرآن الكريم وحجيتها.
٣) بيان مفهوم التقلب في البلاد ومظاهره في القرآن الكريم وحِكمه.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في الدراسات السابقة التي تناولت موضوع السنن الاجتماعية وقفت على دراسات تناولت السنن الاجتماعية بشكل عام، أو تناولت نوعا من تلك السنن، ولم أقف على دراسة منها تناولت سنة التقلب في البلاد، ومن تلك الدراسات:

١- السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعًا ودراسة. المغربي، أيمن بن نبيه بن غنام. وهي رسالة نال بها البحث درجة الماجستير من جامعة أم القرى . ١٤٢٧-١٤٢٨هـ. وموضوعها تناول سنة من السنن الاجتماعية وهي سنة التغيير وبهذا تختلف عن موضوع دراستي.

٢- سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم- دراسة تأصيلية تطبيقية، جاسم بكار -محمود الحاج، دار النوادر١٤٣٣هـ. وموضوعها سنن الطبيعة والمجتمع بشكل عام ولم يتطرق لسنة التقلب في البلاد وبهذا تختلف عن موضوع دراستي.

٣- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها. هيشور، محمد، الطبعة الأولى، القاهرة :المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م. وموضوعها سنن القرآن الكريم بشكل عام ولم يتطرق لسنة التقلب في البلاد وبهذا تختلف عن موضوع دراستي.

٤- سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية. الزهراني، خالد بن موسى بن غرم الله الحسني. نال بها الباحث درجة الماجستير من جامعة أم القرى. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. وموضوعها تناول سنة من السنن الاجتماعية وهي سنة التدافع وبهذا تختلف عن موضوع دراستي.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة السنن الاجتماعية من حيث مفهومها وخصائصها، وحجيتها، وأهمية دراستها. والتقلب في البلاد كنموذج لهذه السنن.

منهج البحث:

قمت باتباع المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك وفق الخطوات التالية :

١-عزوت الآيات إلى مواضعها من المصحف الشريف بذكر رقم الآية واسم السورة.

٢-خرجت الأحاديث الواردة في البحث من مظانها بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث. مع ذكر خلاصة الحكم عليها في الحاشية إن كانت في غير الصحيحين.

٣-التزمت بالتوثيق العلمي لما أورده في البحث بذكر اسم المرجع أو المصدر بالجزء والصفحة.

٤-عرفت بالكلمات الغريبة.

٥-زودت البحث بفهرس للمصادر والمراجع وفهرس عام لموضوعات البحث.

أهمية البحث :

وموضوع السنن الاجتماعية هو موضوع قرآني في الأساس، أي أنه يستمد أصله من القرآن، فهو مصدره ومرجعه الأول، فإن الفكر البشري مهما أبدع في العلوم الاجتماعية واكتشف من النظريات والأفكار سيبقى مدينا للقرآن بهذا التفرد والسبق، ومهما يكن من أمر تنكر علم الاجتماع المعاصر لهذا المفهوم أو الأخذ به، فإن السنن الاجتماعية تبقى مفهوما يفرض نفسه بحيث لا يمكن للاتجاه الإسلامي في علم الاجتماع أن يتجاهله أو يتغافل عنه.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى :

مقدمة: تناولت فيها، مشكلة البحث، وهدفه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: تناولت فيه، مفهوم السنن الاجتماعية والتقلب في البلاد.

المبحث الأول: تناولت فيه، خصائص السنن الاجتماعية، وحجيتها، وأهمية دراستها.

المبحث الثاني: تناولت فيه، التقلب في البلاد، مظاهره وحِكَمه.

ثم خاتمة عرضت فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد : مفهوم السنن الاجتماعية والتقلب في البلاد.

السنن الاجتماعية:

السنن لغة :

جمع سنة، السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة[١].

وتطلق على الطريقة والسيرة والطبيعة[٢]. يقال: استقام فلان على سنن واحد. وجاءت الريح سنائن، إذا جاءت على طريقة واحدة لا تختلف[٣].

وهذه المعاني مدارها على اطراد الشيء وفق طريقة وسيرة واحدة لا تختلف. وهو المعنى الموافق لموضوع السنن الذي نحن بصدد تناوله.

السنة اصطلاحا :

إن مما ينبغي الإشارة إليه هنا أمران :

الأول: أنه لابد من وجود صلة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل لفظ؛ إذ الأصل في الاستعمال هو اللغة، ثم يجري نقل اللفظ إلى الاصطلاح مع زيادة يتطلبها البيان .

الثاني:أنه قد يختلف المعنى الاصطلاحي للفظ واحد؛ تبعا لاختلاف العلم الذي يستعمله.

ولفظ السنة اصطلاحا لا يشذ عن هاذين الأمرين؛ ذلك أن هناك علاقة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ السنة، كما أن معناه اصطلاحا يختلف عند علماء الشريعة بحسب الاختصاص، فهو عند علماء الحديث، ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[٤]، وهو عند الفقهاء ما طلب الشارع من المكلف فعله طلبا غير جازم[٥]، أما عند

---

١ ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٤/٣). مادة(سن).

٢ ينظر: لسان العرب ،ابن منظور (٢٢٥/١٣). مادة (سنن).القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ١٢٠٧). مادة(سن)

٣ ينظر: الصحاح في اللغة، الجوهري (٣٣٤/١). مادة(سنن)

٤ ينظر: الموافقات في أصول الشريعة. الشاطبي (٣/٢). السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ص٤٧).

٥ ينظر: إرشاد الفحول؛ الشوكاني (ص ٣٣).

علماء الأصول فهو أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته، التي يُستدل بها على الأحكام الشرعية[1].

وأما عند علماء التفسير فلا نجد للسنة معناً اصطلاحياً مشتهراً؛ ذلك أن دراسة المفسرين لهذا المصطلح وبحثهم في دلالاته لم تلقَ الاهتمام الكافي مقارنة ببقية علوم الشريعة الأخرى في العصور المتقدمة.

فلا بد من النظر في لفظ السنة في السياق القرآني للبحث في دلالتها ومعناها، حيث ورد لفظ السنن في القرآن الكريم ست عشرة مرة، بصيغة المفرد في لفظ (سنة) في أربعة عشر موضعا، وصيغة الجمع في لفظ (سنن) في موضعين، وهذه المواضع على التفصيل :

١-وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾(الأنفال:٣٨).

٢-وقوله تعالى:﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ (الحجر: ١٣).

٣-وقوله تعالى:﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء:٧٧).

٤-وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾(الكهف: ٥٥).

٥-وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(الأحزاب:٣٨).

٦-وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(فاطر:٤٢ -٤٣).

٧-وقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٦٢).

---

١ ينظر: الإحكام في أصول الأحكام؛ الآمدي (١/ ١٢٧)، إرشاد الفحول؛ الشوكاني (ص ٣٣).

٨-وقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح:٢٣).

٩-وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ* فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر ٨٤-٨٥).

١٠- وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧)

١١- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء:٢٦).

وبالتأمل في هذه المواضع، ومن خلال استقراء أقوال المفسرين، نجد أن معنى السنة اصطلاحا مداره على معنيين اثنين:-

المعنى الأول: الطريقة والسيرة حسنة كانت أو غير حسنة[١]، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء:٢٦).

المعنى الثاني: المثال المتبع والعادة السارية والوقائع الجارية في الأمم حال الطاعة وحال المعصية[٢]، وهو المعنى المراد في غالب سور القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧). وقوله عز وجل : ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا*مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا*سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(الأحزاب:٦٠-٦٢). وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾(الكهف:٥٥).

وهذا المعنى الثاني هو المقصود في هذا البحث.

---

١ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٢٣٣-٢٣٤). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤٨/٥). فتح القدير، الشوكاني (٤٥٢/١)

٢ ينظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ٧٢). مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٩/ ٣٦٩). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٢/ ٨٨). فتح القدير، الشوكاني (٤٥٢/١).

السنن الاجتماعية:

جاء ذكر السنن الاجتماعية في التفسير بداية في إطار وصفي لمعنى هذه السنن، ولأسبابها، وكيفياتها، وآثارها، ويُلاحظ ذلك جليا في تفاسير كالتحرير والتنوير مثلاً، حيث نجد ابن عاشور –رحمه الله تعالى-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧) يُعَبِر بقوله : « ابتُدِئت هاته المقدمة بحقيقة تاريخية: وهي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية...» ثم قال «والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين، ولذلك قال: فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي المكذبين برسل ربهم وأريد النظر في آثارهم ليحصل منه تحقق ما بلغ من أخبارهم، أو السؤال عن أسباب هلاكهم، وكيف كانوا أولي قوة، وكيف طغوا على المستضعفين، فاستأصلهم الله»[١].

فالملاحظ هنا أن ابن عاشور سار في اتجاه تحديد لمدلول السنن الاجتماعية؛ تأسيساً على معنى "سنة" في قوله «جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق»، وعلى تعلق تلك السنن بالمجتمعات في قوله «وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين... ».

ثم أصبح تحديد مصطلح السنن الاجتماعية أكثر دقة وانضباطا وعناية بما استفاده المهتمون بالتفسير من المعاصرين من العلوم الإنسانية الحديثة وبخاصة علم الاجتماع، ومن تلك المصطلحات:

١-السنن الاجتماعية: هي القوانين المطردة الثابتة التي تشكل إلى حد كبير ميكانيكية الحركة الاجتماعية[٢].

٢-السنن الاجتماعية: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة[٣].

---

١ التحرير والتنوير (٤/٩٥-٩٧).

٢ كيف نتعامل مع القرآن. محمد الغزالي (ص٤٨).

٣ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبد الكريم زيدان (ص١٣).

٣-السنن الاجتماعية: هي سنن الله الاجتماعية هي : وقائع الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية ، التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثواباً لمن وافقوا منهج الله ، أو عقاباً لمن كفروا وشاقوا الله ودعاته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو استدارجاً وإملاء للطغاة ، وكذا ما وضع الله لعباده من شرائع[١] .

٤-هي مشيئة الله ونفاذها في هذا العالم وفق قواعد حكيمة وطرائق قويمة، متجددة بتجدد

٥-أسبابها، ملازمة للأفعال التي توجب وقوعها، ثابتة لا تتغير، بتقدير قدره الله وشرطه على خلقه، إنها وعد الله وعادته في الخلق، ذكرها الله سبحانه في كتابه الخاتم في إطار القياس التمثيلي بشواهد التاريخ، وأحوال الأمم، وصيرورة المجتمعات[٢].

٦-السنن الاجتماعية: فهي تلك السنن التي تتعلق بسلوك البشر وأفعالهم ومعتقداتهم وسيرتهم في الدنيا ، وفق أحوال الاجتماع والعمران البشري ، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل[٣].

هذه المصطلحات لا تخلو من أوجه اتفاق وافتراق، ولعله من المناسب الجمع بينهما بتعريف يضم هذه الأوجه فأقول وبالله التوفيق،

السنن الإجتماعية:

هي القوانين المطردة الثابتة، التي جرت عادة الله سبحانه وتعالى بإنزالها بعباده، ملازمة للأفعال التي توجب وقوعها وفق مشيئته.

من خلال هذه التعاريف يبرز سؤال مهم وهو ما وجه العلاقة بين السنن الاجتماعية والسنن الكونية ؟

والإجابة عن هذا السؤال في الخلاصة الآتية:

تفترق السنن الكونية والسنن الاجتماعية في متعلق كل منهما وبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى –هذا الفرق بعد تقريره جملة من السنن الاجتماعية

---

١ مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، صديق عبد العظيم أبو الحسن (ص٥٦).

٢ السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، بقلم الدكتور محمد السيسي، مقال في ملتقى أهل التفسير على الرابط: https://vb.tafsir.net/tafsir١٢٣٣٤/#.XFb٣q١XXJdg

٣السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم بقلم الأستاذ الدكتور توفيق بن أحمد الغلبزوري. مقال على الرابط http://www.presstetouan.com/news١٥٥٩.html

حيث قال -: «وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعده ووعيده وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك»[1].

و برغم هذا الافتراق تظلان آياتان من آيات الله تعالى متعانقتان مطردتان لا تتخلفان ولا تتوقفان كما قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٣).

مفهوم التقلب:

مأخوذ من(قلب) يدل على أصول منها؛ خالص الشيء وشريفه، ورد الشيء من جهة إلى جهة. وتحويله ظهرا لبطن ،والتصرف فيه. قلبته فتقلب في الأمور وفي البلاد: تصرف فيها كيف شاء. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (غافر:٤). معناه: فلا يغررك سلامتهم في تصرفهم فيها[2].

ووردت هذه الكلمة وما تصرف منها في القرآن الكريم أربعا وثلاثين مرة وذلك في سياقات متعددة نذكر منها :

١- قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(الأنعام:١١٠).

٢- قوله تعالى: ﴿ لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ(آل عمران:١٩٦).

٣- قوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف:١١٩).

٤- قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة:٤٨).

٥- قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (غافر:٤).

٦- قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (النحل:٤٦).

٧- قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور:٤٤)

---

١ جامع الرسائل (١/ ٥٢).

٢ ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري(٣/٢٣٢-٢٣٣). مادة (قلب). مقاييس اللغة، ابن فارس(٥/١٧). مادة (قلب). لسان العرب، ابن منظور(١/ ٦٨٥). مادة (قلب).

المبحث الأول : خصائص السنن الاجتماعية، وحجيتها، وأهمية دراستها.

خصائص السنن الاجتماعية :

إن للسنن الاجتماعية خصائص وسمات وهي : الربانية، والثبات والاستمرار ، والعموم والشمول، ، والقرآن الكريم بتقريره لهذه الخصائص يمنحنا أصول منهج متكامل في التعامل مع السنن الاجتماعية وفهم حركتها، وبسط ذلك فيما يأتي :

أ- الربانية:

أهم خصائص السنن الاجتماعية في القرآن الكريم والقرآن الكريم حينما يسبغ الطابع الرباني على هذه السنن فيؤكد ارتباطها بالله سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وتقديرا من جهة كما قال سبحانه: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤).كما يؤكد أن بقية خصائص هذه السنن وإن تعددت وتنوعت فإنها ترجع لهذه الخاصية من جهة أخرى، ولذلك ورد لفظ السنة في القرآن الكريم مضافا إلى الله تعالى في مواضع من القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا* مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا*سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٠-٦٢).

وكما قال عزوجل: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح:٢٢-٢٣).

وهكذا يربط الله تلك السنن به سبحانه ويردها إليه .

ب- الثبات والاستمرار:

إن من خصائص السنن الاجتماعية التي اعتنى بها القرآن الكريم خاصية الثبات والاستمرار، أي أنها لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تتحول، وهي تجري على الآخرين كما جرت على الأولين؛ لأن سننه تعالى تجري على وزن العدل والحكمة، ولا يظلم ربك أحدا. ولذلك قال تعالى:﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً *سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾(الإسراء:٧٦-٧٧).

قال ابن عطية -رحمه الله تعالى-: « ومعنى الآية الإخبار أن سنة الله تعالى في الأمم الخالية وعادته أنها إذا أخرجت نبيها من بين أظهرها نالها العذاب واستأصلها الهلاك

فلم تلبث بعده إلا قليلاً»[1]. كل ذلك كائن لا محالة، فهذه هي سنة الله المطـــردة الثابتـــة السائدة في هذا الكون لا تتحول ولا تتغير.

وقال جل وعلا: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر:٤٢-٤٣).

قال أبو حيان: -رحمه الله تعالى-: «﴿سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ إنزال العذاب على الذين كفروا برسلهم من الأمم، وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم. و﴿سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أضاف فيه المصدر. وفي﴿ لِسُنَّتِ اللَّهِ ﴾إضافة إلى الفاعل، فأضيفت أولا إليهم لأنها سنة بهم ، وثانيا إليه لأنه هو الذي سنها. وبين تعالى الانتقام من مكذب الرسل عادة لا يبدلها بغيرها ولا يحولها إلى غير أهلها، وإن كان ذلك كائن لا محالة . واستشهد عليهم مما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم، في رحلتهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين، وعلامات هلاكهم وديارهم، كديار ثمود ونحوها»[2].

ولا شك أنه بثبات تلك السنن واستمرارها تنضبط الموازين ويستقر الحكم على الأحوال والأشخاص والمواقف والأحداث على ميزان الحكمة والعدل الإلهي.

ج- العموم والشمول:

من خصائص هذه السنن أيضا العموم والشمول؛ فهي تنطبق على البشر جميعا، دون استثناء ودون تمييز، وبلا محاباة، فالنتائج بمقدماتها، والأسباب بمسبباتها بغض النظر عن الدين، والجنس واللون، فالكل في ميزانها سواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : -رحمه الله تعالى-: «والرب تعالى في الحقيقة لا ينقض عادته التي هي سنته، التي قال فيها: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح: ٢٢-٢٣) ، وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر:٤٢-٤٣)؛ وهي التسوية بين المتماثلين»[3]، فهذه سنن عامة وشاملة في جميع البشر.

---

١ المحرر الوجيز (٢٦٦/٤).

٢ البحر المحيط (٩/ ٤٢).

٣ النبوات (٨٦٧/٢).

د- الاطراد

والخاصية الرابعة للسنن الاجتماعية في القرآن الكريم هي : الاطراد أي التكرار والتتابع على نهج واحد وطريقة واحدة لا تختلف ولا تتخلف؛ كلما وجدت الأسباب، وتوفرت الشروط، وانتفعت الموانع، ولولا الاطراد لم يأمر الله تعالى بالاعتبار في سنن السابقين وقصصهم، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ*هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧-١٣٨)، وقال سبحانه :﴿ لقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١)، وقال : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢).

والاطراد دليل على أن مقتضى حكمة الله تعالى أن يقضي في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف، ويزيد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله -هذا الأمر شرحا وبيانا عند تعريفه للسنة، فيقول : «والسنة هي العادة في الأشياء المتماثلة. وسنة هنا تجري على سنه، هذا في الاشتقاق الأكبر. والسنة من هذا الباب سواء كان أصله سنوة أو سنهة وهما لغتان في السنة. والسنن وأسنان المشط ونحو ذلك بلفظ السنة يدل على التماثل؛ فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم، فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل هو سبحانه لا يفوت بين المتماثلين، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل. وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر، وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين، كما دل القرآن على هذا في مواضع، كقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة القلم: ٣٥).

ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها . والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة »[1].

حجية السنن الاجتماعية :

السنن الاجتماعية حجة معتبرة قطعية الدلالة على مرادها وذلك في القرآن الكريم من وجوه:

الأول: كثرة تكررها والتأكيد عليها وعلى مدلولاتها بأساليب عدة، منها:

١ جامع الرسائل (٢/ ٥٥).

١- أمر الله تعالى بالسير في الأرض والنظر فيما جرت به السنن، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنقَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

قال الطبري في تفسيرها: -رحمه الله تعالى-: « فسيروا: أيها الظانون- أن إدالتي[١] من أدلت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه ، لغير استدراج مني لمن أشرك بي، وكفر برسلي، وخالف أمري - في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، وما الذي آل إليه غب[٢] خلافهم أمري، وإنكارهم وحدانيتي، فتعلموا عند ذلك أن إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأُحد، إنما هي استدراج وإمهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم»[٣].

وقال الطاهر بن عاشور: -رحمه الله تعالى-: « فبين الله لهم أن الله جعل سنة هذا العالم أن تكون الأحوال فيه سجالا ومداولة ، وذكرهم بأحوال الأمم الماضية»[٤].

٢- أمر الله تعالى في خواتيم الآيات التي ورد فيها لفظ السنن في بالاعتبار والاتعاظ؛ ليستبصرُ الناس بالسنن الاجتماعية الجارية ووقائعها وأحداثها، وحتى يدركوا عوامل قيام الأمم، وأسباب نهوضها وسقوطها، وكيف أن الحق دائم وخالد وباق مهما علا صوت الباطل، هذا بالنسبة إلى التاريخ عموما.

قال عز من قائل ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾(الحشر:٢).

قال السعدي : -رحمه الله تعالى-: « وذلك أنهم صالحوا النبي ﷺ، على أن لهم ما حملت الإبل. فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم، التي استحسنوها، وسلطوا المؤمنين بسبب بغيهم على إخراب ديارهم وهدم حصونهم، فهم الذين جنوا على

---

١ (إدالتي). الإدالة: الغلبة والفتح. ينظر: الصحاح. الجوهري (ص ٢١٨). مادة (دول)القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ١٠٠٠)

٢ (غب) غب الأمر ومغبته: عاقبته وآخره . ينظر: لسان العرب ،ابن منظور (٦٣٤/١)مادة (غبب).

٣ جامع البيان (٧/ ٢٢٨).

٤ التحرير والتنوير (٤/ ٩٦).

أنفسهم، وصاروا أكبر عون عليها ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾أي: البصائر النافذة، والعقول الكاملة، فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، ولا منعتهم قوتهم، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النكال بذنوبهم، والعبرة بعموم المعنى لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على ما يشابهه، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم وبذلك يزداد العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي »[1].

الثاني: القياس والتمثيل بأحوال الأمم، كما قال تعالى في الآية السابقة : ﴿قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

وقد استن العقلاء بسنة الله تعالى فاحتجوا بهذه السنن على أقوامهم، يقول تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ*مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣٠-٣١).

أهمية دراسة السنن الاجتماعية :

إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى البحث والدراسة المؤصلة الواسعة الشاملة للسنن الاجتماعية في الآفاق والأنفس، بما يضمن لها فهما أدق لحقيقة هذه سنن ويحقق لها الحصانة العقدية والمعرفية ويكفل لها إقامة شهود حضاري يشهد له التاريخ كما شهد لأسلافها.

ولذلك فالعلم بهذه السنن الاجتماعية له أهميته لاعتبارات منها:

أولاً: أن موضوع السنن الاجتماعية هو موضوع قرآني، يستمد أصله ومظاهره وأسبابه ،آثاره من القرآن، فهو مصدره ومرجعه الأول، فالله تبارك وتعالى خلق هذا الكون، وجعل له سنناً اجتماعية لا تتبدل، أمر الإنسان أن يبحث عن هذه السنن؛ ويتعامل معها ليكتشف من هذه السنن في الأنفس ما يزيده يقيناً وتأكداً أن الذي جاءه من عند ربه هو الحق.

ثانياً : أن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى تصور ماهية السنن الاجتماعية وآلية عملها في المجتمعات، بما يضمن لها الحصانة العقدية في عصر تموج به فتن

---

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٤٨).

كقطع الليل المظلم. والحصانة المعرفية بفهم وإدراك حقيقة الاستخلاف وأسسه من الإيمان والعمل ومتطلباته من الاعتدال والوسطية، وبذلك فقط ستتمكن من إقامة شهود حضاري بين الأمم.

ثالثاً: أن الأمر بالسير في الأرض المفضي إلى الاهتداء إلى السنن الاجتماعية المؤثرة في مسيرة الحياة والاجتماع الانساني، جعله القرآن الكريم من فروض الكفايات. قال تعالى:﴿ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ﴾ (آل عمران:٣٧).

رابعاً: أن موضوع السنن الاجتماعية من الموضوعات المهمة لحسن قراءة الواقع البشري، والتعرف على آليات النهوض، والتغيير بأبجدية أصيلة تحدد موطن الخلل في الأمة وتبصرها بدورها ورسالتها الحقيقية. وتنقل التعامل مع هذه السنن من نطاقها النظري، إلى أفق التطبيق العملي الواقعي.

أن القرآن الكريم قدم من خلال قصص لحضارات بشرية نماذجَ واقعية لآلية عمل تلك السنن والقوانين التي تحكمها قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ في شِيَعِ الأَوَّلِينَ* وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ به يَسْتَهْزِؤُونَ*كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ*لاَ يُؤْمِنُونَ به وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ (الحجر:١٠-١٢).

خامساً: أن القرآن الكريم شدد في النكير على أولئك الذين لم يستعملوا جوارحهم في البحث في هذه السنن قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ* أَفَلَمْ يَسِيرُوا في الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٥-٤٦).

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا في الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ منْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ ممَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم:٩).

وبذلك نجد أن القرآن الكريم يقدم لنا من خلال عرضه لهذه السنن الاجتماعية أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ والحضارة والمجتمعات البشرية وفق هذه السنن، بحيث ينتقل بهذا المنهج من مرحلة العرض والجمع فحسب إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم هذه الساحة .

المبحث الثاني: التقلب في البلاد مظاهره وحِكَمه.

مر معنا أن الله تعالى أقام نظام المجتمع على سنن اجتماعية تلحظ بالاستقراء والخبرة والمتابعة، وتتصف بالعموم والشمول، والثبات والدوام، والاطراد والاستمرار، فهي لا تختلف ولا تتخلف، ولا تتغير ولا تتبدل، ، ولا تحابي أحدا، بل الكل في ميزانها سواء.

وفي جانب السنن الاجتماعية عني القرآن الكريم بالحديث عنها أيما عناية، وتناولها من عدة جوانب، من جانب أنواعها-كسنن التغيير، التداول والتمكين والتدافع والامهال والاستدراج والتقلب في البلاد وغيرها- وأحكامها وحِكمها، إلى غير ذلك من جوانب تلك السنن بما يُفسر إلى حد كبير حركة الحضارة والاجتماع والعمران البشري، من قوة وضعف، وقيام وسقوط، ورقي وانحطاط، وخمود وهمود، وركود وجمود، والتي لا تتخلف نتائجها عن مقدماتها، ولا تنفك أسبابها عن مسبباتها.

وإذا كان هذا الذي قرره القرآن واقعاً بشرياً لتلك السنن؛ فإن القرآن الكريم لا يكتفي بتقرير هذا الواقع حتى يأتي بتفسيره تفسيراً محكماً، تقوم به الحجة، وتسكن إليه العقول، وتأوي إليه الأنفس.

وهـــــذا المبحث والذي يتناول التقلب في البلاد مظاهره وحِكَمه، ما هو إلا عرض لهذا المنهج القرآني .

إن تقلب الذين كفروا في البلاد اليوم، بمظاهر المكانة والقوة والغلبة والسيادة، ومظاهر النعمة، والترف والسعادة، يثير الإشكال، ويطرح السؤال، بل قد يصل الأمر ببعض ضعاف الإيمان وحدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام إلى الافتتان والاغترار بذلك حتى يظن أحدهم أن ذلك راجع إلى كفر أولئك!!

بينما الحق أن ذلك التقلب ما هو إلا سنة ربانية اجتماعية جارية، ذات وقائع متشابهة في أزمنة ماضية، عرضه القرآن وأكد فيه على قضيتين؛ قيمته ووزنه الصحيح في ميزان الحق تبارك وتعالى، واطراده وفق مشيئة الله تعالى وحكمته عند حصول أسبابه .

قال تعالى: ﴿ لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (آل عمران:١٩٦-١٩٧).

وقال سبحانه: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ*كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ* وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (غافر:٤-٥).

قال الواحدي-رحمه الله تعالى-: «نزلت في مشركي مكة، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش، وكانوا يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد؛ فنزلَت هذه الآية»[1].

قال ابن كثير-رحمه الله تعالى-: « يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجا، وجميع ما هم فيه متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد»[2].

وقال السعدي -رحمه الله تعالى-: « وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله ﴿ مَتَاعٌ ﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا»[3].

فهؤلاء فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شيء من صنوف المتاع الدنيوي بالأموال والأولاد، ومن أدوات التمكين الاقتصادي والعسكري والمعماري وغير ذلك، يتقلبون فيها كيفما شاؤا، كما فتح على من سبقهم من الأمم الكافرة المكذبة سنة مطردة.

قال تعالى في آية جامعة من سورة الأنعام: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾(الأنعام: ٦).

ومثلها في سورة الأحقاف قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأحقاف :٢٦).

---

١ أسباب نزول القرآن (ص١٣٩).

٢ تفسير القرآن العظيم (١٦٩/٢).

٣ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٦٢).

وقال -سبحانه-: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ*فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام :٤٤- ٤٥). وذلك على سبيل الإجمال.

أما على سبيل التفصيل فقد قال -جل وعلا- في عاد قوم هود: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ* وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ *أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ* وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾(الشعراء: ١٢٨-١٣٤)وقال في ثمود قوم صالح: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ* وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾(الشعراء: ١٤٦-١٤٩).

عرضت هذه الآيات نماذج من الواقع التاريخي للتقلب في الأمم السابقة. نماذج تعرض وتفسر كيف أن هؤلاء قد فسدت فطرتهم الفساد الذي لا يرجى معه صلاح، وكانت حياتهم قد فسدت الفساد الذي لا تصلح معه للبقاء. فاستدرجهم الله عز وجل بالتقلب في البلاد بمظاهر التمكين لهم في الأرض وفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير وبأسباب القوة والمنعة والسلطان، يتقلبون فيها حتى إذا بطروا بما أوتوا من الخير على أنواعه من السعة في العيش، والصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، وأعجبوا بذلك وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقا وصوابا، أخذهم الله تعالى فجأة وهم غير مترقبين لذلك.

إن القرآن الكريم هنا يقرر سنة اجتماعية-سنة التقلب- يُفسر بها أحداثاً تاريخية، تُذكر البشرية بأن مقتضى حكمة الله تعالى أن يقضي في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا يتبدل ولا يتحول، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر:٤٢ -٤٣). وقال عز من قائل : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح:٢٣).فعم جلا وعلا كل سنة له في خلقه وأمره.

ويزيد شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمهالله تعالى- هذا الأمر شرحا وبيانا فيقول: «والسنن وأسنان المشط ونحو ذلك بلفظ السنة يدل على التماثل؛ فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم، فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل هو سبحانه لا يفوت بين المتماثلين، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل. وهذا القول أشبه بأصول

الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر، وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين، كما دل القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى:﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم: ٣٥).

ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الإعتبار بها والإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة»[1].

فالقرآن الكريم إذاً لما يلفت الأنظار إلى سنة التقلب من خلال قصص الأمم الغابرة، إنما يوجه المؤمنين في كل زمان إلى عدم الانخداع والاغترار حينما يرون الفاجر الطاغي، أو المستهتر الفاسد، أو الملحد الكافر، متقلبا في الأرض، فإن هؤلاء مهما تقلبوا، وملكوا، واستمتعوا، فإن ذلك لا يعدو أن يكون متاعاً قليلاً، زائلاً بزوالهم، كما زال أسلافهم ممن أصبحوا أحاديث.

وهكذا تمضي سنته عز وجل في تقلب الذين كفروا وتصرفهم في البلاد وفق ما تقتضيه حكمته ومشيئته، و(هنا نكتة نافعة، وهو أن الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيرا من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب، وما يصيب كثيرا من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال، وغير ذلك؛ فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور، وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتنعمون به إلا قليلا. وكذلك قد يعتقد أن العزة والنصرة قد تستقر للكفار والمنافقين على المؤمنين، وإذا سمع ما جاء في القرآن من أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين وأن العاقبة للتقوى وقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات:١٣٧). وهو ممن يصدق بالقرآن، حمل هذه الآيات على الدار الآخرة فقط. وقال: أما الدنيا فما نري بأعيننا إلا أن الكفار والمنافقين فيها يظهرون ويغلبون المؤمنين، ولهم العزة والنصرة، والقرآن لا يرد بخلاف المحسوس. ويعتمد على هذا فيما إذا أُدِيل عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين أو الظالمين، وهو عند نفسه من أهل الإيمان والتقوى، فيرى أن صاحب الباطل قد علا على صاحب الحق. فيقول: أنا على الحق وأنا مغلوب)[2].

وهذه التصورات مبنية على مقدمات خاطئة منها :

---

١ جامع الرسائل (٥٥/١).

٢ قاعدة في المحبة، لابن تيمية (ص٧).

أولاً: حسن ظن العبد بدين نفسه باعتقاده أنه قائم بما يجب عليه وتارك ما نهي عنه في الدين الحق. وذلك داخل في تزكية النفس المنهي عنه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم:٣٢).

قيل في سبب نزولها: كان ناس يعملون أعمالا حسنة، ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا؛ فنزلت[١].

قال أبو السعود-رحمه الله تعالى-: «فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته»[٢].

ثانياً: اعتقاد العبد أن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا؛ وذلك داخل في باب سوء الظن بالله تعالى قال تعالى في ذم سوء الظن به وعاقبة من فعل ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(آل عمران: ١٥٤).

قال ابن القيم-رحمه الله تعالى-: «وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه للقتل، وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، ويظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى في (سورة الفتح) حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾(الفتح: ٦)، وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق

١ مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٣/١). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ 162).

٢ ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ 162)

بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله»[1].

ثالثاً- اعتقاد البعض أن ما يعطيه الله لعباده من النعيم دليل على الإكرام في حق المعطى أو العطية مطلقاً[2]، وليس كذلك؛ فإن الله عز جل قال: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ*وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر:١٥-١٦). وقال في حق الكفار: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (آل عمران:١٩٦-١٧٩). فوصْفُ تقلبهم في البلاد بالقلة، إشارة إلى حقارته فليس دليلاً على الإكرام.

وبعد تقرير خطأ تلك المقدمات، وبطلان التلازم بين تقلب الذين كفروا في البلاد وبين تلك الاعتقادات، لا يبقى إلا بيان الحِكم الحقيقة من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة لتقلب الذين كفروا في البلاد، ومنها:

أولاً: أن ذلك من مقتضيات الربوبية ومن كمال رأفته وشمول رحمته يرزق خلقه المؤمن والكافر ولا يؤثر كفر الكافر في قطع رزقه، قال تعالى : ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠). فعطاء الله بداية مبذول للمؤمن والكافر .

قال الجصاص-رحمه الله تعالى-: «قوله تعالى كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾قد تقدم ذكر مريد العاجلة والساعي للآخرة، وحكم ما يناله كل

---

١ زاد المعاد (٣/٢٠٥).

٢ ينظر: دروس وعبر من قوله تعالى: {لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد} مقال للدكتور. أمين بن عبدالله الشقاوي على الرابط: https://www.alukah.net/sharia/٠/٢٩٨٨٩/

واحد منهما بقصده وإرادته؛ ثم أخبر أن نعمه -جل وعلا- مبسوطة على البر والفاجر في الدنيا، وإنها خاصة للمتقين في الآخرة. ألا ترى أن سائر نعم الله تعالى من الشمس، والقمر، والسماء، والأرض بما فيها من المنافع، والهواء، والماء، والنبات، والحيوانات المأكولة، والأغذية والأدوية، وصحة الجسم والعافية، إلى مالا يحصى من النعم شاملة للبر والفاجر»[1].

وقال الفخر الرازي-رحمه الله تعالى-: «أي : أنه تعالى يمد الفريقين بالأموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز والزينة في الدنيا ، لأن عطاءنا ليس يضيق عن أحد مؤمنا كان أو كافرا لأن الكل مخلوقون في دار العمل ، فوجب إزاحة العذر وإزالة العلة عن الكل وإيصال متاع الدنيا إلى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح فبين تعالى أن عطاءه ليس بمحظور ، أي : غير ممنوع يقال حظره يحظره ، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك»[2].

ثانياً- أن ذلك استدراج وإمهال بما يغدق عليهم الله تعالى من نعمه مع إقامتهم على الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (الأنعام:٤٤).

تقرر هذه الآية أنه لما ترك هؤلاء العمل بما أمرهم الله به على ألسنة الرسل – والتعبير عن الترك بالنسيان؛ وهو أبلغ وجوه الترك الذي يكون معه نسيان؛ وزوال المتروك عن الذهن- فتح جل وعلا عليهم أبواب الخير من كل ما يختارون من الأموال والأولاد والأرزاق وغيرها استدراجا منه تعالى وإملاء لهم حتى إذا بطروا وأشروا وأعجبوا وظنوا أن ذلك العطاء لا يبيد، وأنه دال على رضاء الله عز وجل عنهم لكون كفرهم الذي هم عليه حقا وصوابا أخذهم الله عز وجل وهم آيسون من كل خير[3] .

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا رأيتَ الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه

---

١ أحكام القرآن (١٩/٣).

٢ مفاتيح الغيب (٢٠/ ٣١٩).

٣ ينظر: جامع البيان، الطبري (١١/ ٣٥٧-٣٦٣). المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٤١٠). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/ ٤٢٦)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٢٢٩/٣).

ما يحب، فإنما هو استدراج"، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[1](الأنعام: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾(المؤمنون: ٥٤-٥٦).

قال الشوكاني -رحمه الله تعالى- في معنى الآية: «أيحسبون أنما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم، والهمزة للإنكار، والجواب عن هذا مقدر يدل عليه قوله: بل لا يشعرون لأنه عطف على مقدر ينسحب إليه الكلام، أي: كلا لا نفعل ذلك، بل هم لا يشعرون بشيء أصلا كالبهائم التي لا تفهم ولا تعقل، فإن ما خولناهم من النعم وأمددناهم به من الخيرات إنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثما»[2].

ثالثاً: أن ذلك مجازاة لهم بأعمالهم الحسنة في الدنيا، وذلك من كمال عدل الله تعالى، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس - رضي الله عنه - ﷺ- قال: " إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا "[3].

وفي البخاري عن عمر - رضي الله عنه لما آلى ﷺ من نسائه، قال: فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ ﷺ هَذَا الحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: "مَا يُبْكِيكَ؟" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!"[4].

---

١ رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٤٥) . برقم (١٧٣٤٩).وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١٥٨/١).

٢ فتح القدير (٥٧٦/٣).

٣ صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا- (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٨٠٨).

٤ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن- باب﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾- (٦/ ١٥٦) رقم الحيث (٤٩١٣).

وبتقرير هذه الحِكم وربطها بأوضاع العلم المعاصر المتمثل في تقدم غير المسلمين وتمكنهم وقوتهم المادية مما هو صور لتقلبهم في البلاد، وفي المقابل تخلف المسلمين وتأخرهم وضعفهم، نصل إلى حقائق منها:

أولاً/خضوع سنة التقلب في البلاد –كغيرها من السنن- لمشيئة الله تعالى، وارتباطها بأسبابها، فمجرد كفر الكافرين لا يؤدي إلى تقلبهم في البلاد بلا عمل بالأسباب؛ فهؤلاء بذلوا كل جهد وكدح وإرادة لعمارة الأرض فمكنهم الله من التقلب فيها، بمقتضى سننه التي بينها وقدرها أنه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ (هود:١٥).

ثانيا/ارتباط السنن ببعضها، فهي غالبا لا تعمل فرادى، إنما يأخذ بعضها بأعناق بعض ويتبع بعضها بعضا، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾(المؤمنون: ٥٤-٥٦). فالله عز وجل مد هؤلاء المعرضين بالمال والبنين -وذلك من صور التقلب- فحسبوا أن ذلك مسارعة لهم في الخيرات وليس بذاك إنما هو سنة الاستدراج والإملاء على ما تم بيانه.

ثالثاً/نفي التناقض والتعارض الذي قد يتوهمه البعض فيما يتعلق بنصوص الوعد والوعيد، كوعده تعالى للمؤمنين بالتمكين ووعيده للكفار بالخذلان.

والخلاصة: ألا يغتر المؤمن بحال هؤلاء الكفار وما هم فيه من تقلب في البلاد وتصرف فيها؛ فإن هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم والعيش السليم نزرًا يسيرًا، ومنحة في صورة محنة؛ سُرعان ما تُنسى بصبغة في النار، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِى النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِى الْجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِى بُؤْسٌ قَطُّ وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ "[1].

١ صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب صبغ أنعم أهل الدنيا فى النار وصبغ أشدهم بؤسا فى الجنـــة - (٦/ ١٣٥) حديث رقم (٧٢٦٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي امتن على باتمام هذا البحث، والذي كان من جملة نتائجه:

١- أن السنن الاجتماعية هي تلك السنن التي تتعلق بسلوك البشر وأفعالهم ومعتقداتهم وسيرتهم في الدنيا ، وفق أحوال الاجتماع والعمران البشري ، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل.

٢- أن السنن الاجتماعية حجة معتبرة قطعية الدلالة على مرادها لكثرة تكررها والتأكيد عليها وعلى مدلولاتها بأساليب عدة ولكثرة الأمر في خواتيمها بالاعتبار والاتعاظ في القرآن الكريم.

٣- أن للسنن الاجتماعية خصائص وسمات وهي : الربانية، والعموم والشمول، والثبات والاستمرار، والقرآن الكريم بتقريره لهذه الخصائص منحنا أصول منهج متكامل في التعامل مع السنن الاجتماعية وفهم حركتها.

٤- أنه ولأهمية هذه السنن في حياة الإنسان نجد أن القرآن الكريم شد أنظار المخاطبين وعقولهم إلى النظر والاعتبار والتبصر فيها للكشف عن أسرار هذا الكون العجيب وقوانينه التي يسير وفقها، وطرق هذه القوانين في الأنفس والآفاق.

٥- أن التقلب في البلاد من السنن الاجتماعية التي قررها القرآن الكريم كواقع بشري؛ وفسرها تفسيراً أبان فيه حِكمها، لتقوم به الحجة، وتسكن إليه العقول، وتأوي إليه الأنفس.

أما هم التوصيات فمنها :

١- ضرورة اختيار موضوعات بحثية قرآنية تفتقر إليها المكتبة الإسلامية، وبخاصة المتعلقة بالسنن الاجتماعية فلا زال القرآن الكريم نبع لا ينضب لاستخلاص تلك السنن من خلال عقول تستنبط قوانينها وخصائصها وحِكمها؛ التي تحكم التجمع الإنساني، وتتحكم بقيام وسقوط الحضارات.

٢- إقامة المؤتمرات والندوات المعنية بالسنن الاجتماعية ليتم من خلالها تقديم الدراسات والبحوث المؤصلة الواسعة الشاملة لتلك السنن التي تفسر الكثير من المخفيات وتحكم على كثير من الظواهر وتعرف بكثير من الدروس والعبر المتعلقة بهذه السنن لتعزيز ثقة الأمة بدينها، وإثارة فاعليتها للنهوض والقيام بدورها في قيادة الحضارة كما قادها أسلافها. وكذلك لإظهار وجه من وجوه الإعجاز القرآني؛ حيث

سبق القرآن الكريم في تناوله تلك السنن الاجتماعية علوم الاجتماع الحديثة وكان عرضه لها وفق منهج علمي متفرد.

٣- التوسع في تناول موضع السنن الاجتماعية بمزيد التأليف والكتابة من العلماء ومفكري الأمة، لتأصيل الموضوع من ناحية، وللرد على ما قد يعرض أو يحيك في النفوس من الشبهات حولها في عصر تعددت وتنوعت فيه مصادر التلقي من ناحية أخرى.

٤- العناية بموضوع السنن الاجتماعية وعرضه وتقديمه في صورة جديدة مشوقة جذابة متفقة مع واقع العصر ومتطلباته وخاصة لفئة الشباب من خلال خطب المساجد وبرامج التلفاز والإذاعة بل وكافة وسائل التواصل والاتصال لبث روح التفاؤل والأمل بأن تغيير واقع الأمة أمر ممكن غير مستحيل.

فهرس المصادر والمراجع

١) أحكام القرآن. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا. الطبعة: الثالثة . لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢) أحكام القرآن. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ). (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

٣) الإحكام في أصول الأحكام. الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ). المحقق: عبد الرزاق عفيفي. (د.ط). لبنان-بيروت: المكتب الإسلامي.(د.ت).

٤) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفى: ١٢٥٠هـ). المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دمشق - دار الكتاب العربي- ١٩٩٩م.

٥) أسباب نزول القرآن، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ). تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الطبعة: الثانية، الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ت).

٧) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: محمد حسين شمس الدين. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات محمد علي بيضون ،١٤١٩ هـ.

٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: ٧١٠هـ). تحقيق: يوسف علي بديوي. الطبعة: الأولى. بيروت: دار الكلم. ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٩) تهذيب اللغة. الأزهري. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

١٠)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الطبعة : الأولى، (د.م) مؤسسة الرسالة١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١١)جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر. الطبعة : الأولى ، (د.م) مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢) جامع الرسائل. ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق :د. محمد رشاد سالم. الطبعة :الأولى، الرياض:دار العطاء ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١.

١٣) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تحقيق : د. مصطفى ديب البغا. الطبعة الثالثة، بيروت- اليمامة: دار ابن كثير، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

١٤) الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم). مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. (د.ط) . بيروت: دار الجيل + دار الأفاق الجديدة. (د.ت).

١٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ).تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الطبعة: الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية،١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٦) زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الطبعة: السابعة والعشرون. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٧) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. السباعي، مصطفى بن حسني (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الطبعة :الثالثة، سوريا-دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٨) السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعًا ودراسة. المغربي، أيمن بن نبيه بن غنام. جامعة أم القرى.(د.ط) مكة المكرمة: جامعة أم القرى . ١٤٢٧-١٤٢٨هـ.

١٩) سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم- دراسة تأصيلية تطبيقية، بكار، جاسم – الحاج، محمود ، .(د.ط). (د.م) دار النوادر١٤٣٣هـ.

٢٠) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها. هيشور، محمد، الطبعة الأولى، القاهرة :المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م.

٢١) سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية. الزهراني، خالد بن موسى بن غرم الله الحسني. (د.ط). مكة المكرمة: جامعة أم القرى. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٢) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. زيدان، عبد الكريم. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.١٤١٣ه-١٩٩٣م.

٢٣)السنن الإلهية في الحياة الإنسانية و أثر الإيمان بها في العقيدة و السلوك. الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد . (د.ط). جامعة أم القرى: مكة المكرمة، – ١٩٨٧-١٤٠٧هـ.
٢٤)فتح القدير. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) .الطبعة: الأولى، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ.
٢٥)الصحاح في اللغة. الجوهري. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).
٢٦)صحيح الجامع الصغير وزياداته. الألباني، أبو عبد الرحمن ناصر الدين بن الحجاج نوح بن نجاتي بن آدم.(د.ط) (د. م) المكتب الإسلامي (د. ت).
٢٧)قاعدة في المحبة. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. (د. ط). مصر، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. (د. ت).
٢٨)القاموس المحيط. الفيروزآبادى ،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)
٢٩)تحقيق: مكتب تحقيق التراث. الطبعة: الثامنة. لبنان، بيروت :مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٠)كيف نتعامل مع القرآن. الغزالي محمد . الطبعة السابعة،(د. م). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع٢٠٠٥، م.
٣١)لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر١٤١٤ هـ.
٣٢)المحرر الوجيز، ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).
٣٣)مسند الإمام أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني. (د. ط). القاهرة: مؤسسة قرطبة. (د. ت).
٣٤)مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). الطبعة: الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠ هـ.

٣٥) مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم. أبو الحسن، صديق عبد العظيم . (د.ط)الكويت، جامعة الكويت، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.المجلد١٢-العدد٣١-١٩٩٧.

٣٦) مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط) (د.م)دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣٧) الموافقات. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (المتوفى: ٧٩٠هـ).المحقق :أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الطبعة الأولى. (د.م)دار ابن عفان، : ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الروابط الإلكترونية:

١) دروس وعبر من قوله تعالى: {لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد} مقال للدكتور. أمين بن عبدالله الشقاوي على الرابط: https://www.alukah.net/sharia/٠/٢٩٨٨٩/

٢) السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، بقلم الدكتور محمد السيسي، مقال في ملتقى أهل التفسير على الرابط: https://vb.tafsir.net/tafsir١٢٣٣٤/#.XFb٣q١XXJdg.

٣) السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم بقلم الأستاذ الدكتور توفيق بن أحمد الغلبزوري. مقال على الرابطhttp://www.presstetouan.com/news١٥٥٩.html